التي تحيق بالبلدان النفطية ان هي أهملت أو تجاهلت تحقيق تنميتها الذاتية ولم تسهم اسهاما بعيد المدى في تنمية شقيقاتها الاقل حظا منها . هذه المخاطر تنشأ من مصدرين: أولهما ، الجماهير الفلسطينية والعربية الراغبة في التنمية قاعدة للتحرر وللتحرير وهدفا في ذاتها على السواء ، وثانيهما اسرائيل والامبريالية اللتان تتربصان بالعرب انتظارا لاية سانحة تدلل على الضعف والتراخي واستكشافا لاية ثغرة تستطيعان أن تنفذا منها الى الوطن العربي لتفتتا ارادته ولتحققا ما تقدران عليه من سيطرة على هذا الوطن ، مهما كان شكل السيطرة أو صيغتها ، أعسكرية كانت أم سياسية أم اقتصادية ، أم مزيجا من هذه .

ولعل هذه المخاطر كانت ستنشأ ، ولكن حتما بمقدار أصغر من الحدة ، لو لم تكن قضية فلسطين قائمة . فالبلدان الغربية الرأسمالية وقد ساءها وآلمها امتداد الاستقلال والسيادة العربيين الى الموارد الاقتصادية العربية وأبرزها النفط ، كانت حتما ستعمد الى ايذاء العرب ما استطاعت ردا على ممارسة العرب لسيادتهم على قطاع النفط بالنسبة للانتاج والتسعير والتسويق والتصنيع . على ان حدود الاذى الذي كانت البلدان الغربية ستعمد الى ايقاعه بالعرب كانت عندئذ ستظل دون الحدود التي قد يبلغها الغرب اليوم بكثير . فالانتفاضة العربية منذ مطلع السبعينات ، وعلى الاخص منذ اكتوبر ١٩٧٣ ، تنطلق في سهمين كلاهما يؤلم الغرب لانهما موجهان معا الى السيطرة الغربية : تحرير النفط العربي ، ومحاولة تحرير فلسطين .

غير ان ما هو اكثر دلالة بالنسبة لتحليل دور تحدي التحرير في اطلاق عملية التنمية، من العامل السلبي أي خطورة اغفال هذا الدور ، وهو ما كنت بصدد عرضه ، هو اثر بروز الروح النضالية التحريرية على جميع نواحي الحياة العربية ، وهو جانب ايجابي ومركز الثقل الرئيسي في آلية تأثير النضال من أجل تحرير فلسطين على انطلاق عملية التنمية . فالتحدي الكبير المتمثل في الاصرار على تحرير فلسطين يعمل كما بينت على تسريع عملية التنمية ، لا بفضل الحاح تحدي التحرير فحسب ، بل — وهذا ما هو أعظم شأنا — بفضل اثر الانتفاضة النضالية التي يطلقها الاصرار على التحرير على جميع أوجه وجوانب الحياة العربية .

ان الروح النضالية المتوجهة أساسا صوب التحرير والتي تتحدى السيطرة الخارجية المتجسدة في وجود اسرائيل واستمرارها ، أطلقت وستستمر في اطلاق تيارات من التحدي في وجه السيطرة الخارجية على الموارد العربية وأبرزها النفط، كما انها أطلقت وستستمر في اطلاق تيارات من التحدي في وجه التفتت والتناحر العربي ، والتخلف الاجتماعي ، والجهل ، والاتكالية ، والخنوع .

خاتمة

لقد أسهم النفط في مطلع القرن في انشاء وترسيخ المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين . وهو قادر اليوم أن يسهم في تحرير فلسطين من هذا المشروع . وان البصيرة لقادرة أن ترى الترابط بين مصير النفط وقضية فلسطين : فهما اما أن يتحررا معا من السيطرة الاجنبية — بكل ما يعنيه هذا التحرير من مدلولات ، أو يظلان معا عرضة للخضوع لهذه السيطرة . (ولا ننسى في هذا المجال التهديدات الامبريالية الصريحة والمبطنة على السواء الموجهة الى البلدان النفطية التي « خرجت عن الطوق » الغربي في سياستها النفطية) . كذلك تستطيع البصيرة ان ترى الاثر المشترك لتحرير النفط وحسن استخدامه في الوطن العربي ، وللسعي لتحرير فلسطين ، على مسيرة الوحدة العربية أو على الاقل على التعاون المكثف بين البلدان العربية .